

الحلقة الخامسة عشرة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تظن صديقي أن الله يميّز بين البشر؟ فيفضل شعباً عن شعب أو جنساً عن جنس؟ أو حتى الذين يؤمنون بدين معين عن دين آخر؟ أو ليس هذا ما يظنه الكثيرون، فيعتقدون أن الله ميّزهم عن باقي الشعوب والأجناس؟ أولاً تعلم أن من هذه الافتراضات الخاطئة بدأت الأفكار العنصرية؟

لقد كان اليهود قديماً يظنون خطأ أن الله ميّزهم عن باقي الشعوب، وأن الله اختارهم وحدهم فقط ليكونوا شعبه ولينالوا بركاته وخلصه. لكن الله اختارهم قديماً لهدف معين، وليؤدوا رسالة محددة، وليس لأنه ميّزهم عن باقي الشعوب، لا بل طلب منهم إطاعته والعمل بوصاياه، إذا أرادوا أن يكونوا من أولاده. وعندما أتى المخلص المسيح واجه اليهود بهذه الحقيقة، أن الله لا يميّز بين الشعوب.

ودون لنا البشير متى عن حادثة حصلت أكدت موقف المسيح الواضح في هذا المجال. فنقرأ ما يلي: **وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ كَفَرْنَا حَوْمَ، جَاءَ إِلَيْهِ قَائِدُ مِئَةِ يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «يَا سَيِّدُ، غُلَامِي مَطْرُوحٌ فِي الْبَيْتِ مَفْلُوجًا مُتَعَدِّبًا جِدًّا». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ». فَأَجَابَ قَائِدُ الْمِئَةِ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي، لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلَامِي. لِأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهَذَا: اذْهَبْ! فَيَذْهَبْ، وَلَاخِرَ: إِيْتِ! فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِي: افْعَلْ هَذَا! فَيَفْعَلُ». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ، وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلَا فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هَذَا! وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِنُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ». ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ: «اذهب، وكما آمنت ليكن لك». فَبَرَأَ غُلَامُهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ. (بشارة متى ٨: ٥-١١).**

صديقي المستمع، لقد كان قائد المئة الذي أتى إلى المخلص المسيح رومانياً وثنياً. وبما أنه سمع عن عجائب المسيح الباهرة، فقد أتى إليه رغم مركزه الرفيع وجنسيته المختلفة، طالباً منه شفاء غلامه أو ابنه المفلوج. إلى هنا لم يكن أي شيء ملفت للانتباه في الحادثة. لكن الذي أثار انتباه المخلص المسيح أن قائد المئة هذا قد أبدى تواضعاً كبيراً، وأظهر إيماناً عميقاً به. إذ عندما قال له المسيح أنه سيذهب لشفاء غلامه، أجابه: «يَا سَيِّدُ، لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي، لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلَامِي». وعندما تعجّب المسيح من إيمانه هذا وقال للجموع: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلَا فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هَذَا!

نعم، لم يجد المسيح بين اليهود من عنده هذا الإيمان العظيم، حتى إن قائد المئة طلب منه أن يقول كلمة فقط، ودون أن يأتي إلى بيته فيُشفى غلامه. أي كان عنده إيمان أكيد أن غلامه سيشفى بمجرد كلمة من المسيح. وهو الذي حصل وشفي الغلام في نفس اللحظة التي تكلم فيها المسيح. لكن المسيح أضاف معلناً حقيقة هامة: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَكُونُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصْرِيرُ الْأَسْنَانِ». فماذا قصد المسيح بهذا التصريح الهام؟

لقد أراد المسيح القول، أن المهم في الأمر هو إيمان الشخص، وليس جنسه أو شعبه أو حتى دينه. فإن كثيرين سيأتون ومن مختلف الشعوب والأجناس، ويتكثرون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهم آباء الشعب القديم، في ملكوت السموات، أي ينالون خلاص الله الأبدي. والسبب هو لإيمانهم بالمخلص المسيح. وفي المقابل إن اليهود المفروض بهم أن يكونوا من شعب الله، سيُطرحون إلى الظلمة الخارجية، أي إلى العذاب الأبدي. والسبب لعدم إيمانهم ورفضهم لخلاص الله الذي قدّم لهم بواسطة المسيح. المهم إذن عند الله هو إيمان الشخص الحقيقي وليس انتماءه لشعب أو جنس أو حتى دين معين.

هل تعلم مستمعي أنه حتى في كتاب العهد القديم أعلن الله أن خلاصه سيكون لكل الشعوب والأمم؟ ففتنبأ النبي إشعياء عن المسيح قائلاً: « هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب رئيساً وموصياً للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك، من أجل الرب إلهك..» (إشعياء ٥٥: ٤-٥). أي أن المخلص المسيح هو الذي سيعلمن شريعته للشعوب من جميع المؤمنين به، وهو سيملك عليهم. لا بل إن الأمم الذين لم يكونوا يعرفون الله سيأتون ويقبلون خلاص الله. وهذا بالضبط ما تحدّث به المخلص المسيح عن الذين سيؤمنون به من كل الشعوب والأمم.

ونجد في كتاب العهد الجديد إعلاناً واضحاً وصريحاً عن محبة الله للبشر أجمعين، دون أيّ تمييز. وأن كل إنسان يؤمن بالمخلص المسيح بغض النظر عن جنسه وشعبه ودينه وخلفيته، يصبح من أولاد الله. أي لا علاقة لانتسابه لشعب أو جنس أو دين معين في صيرورته من أولاد الله. وفي المقابل قد يظن الكثيرون حتى اليوم أنه بسبب انتمائهم لشعب أو دين معين، هم أفضل من غيرهم، وأنهم سينالون رضى الله وغفرانه. ويقعون بالتالي في نفس الخطأ الذي وقع فيه اليهود أيام المسيح، إذ ظنوا أنفسهم أبراراً، لأنهم من الشعب الذي اختاره الله قديماً. لكن تبين لنا بكل وضوح من تصريح المخلص المسيح، أن انتساب الإنسان لشعب ما، أو حتى لدين معين لا يعني أي فضل أو ميزة أمام الله. إذ هو عليه أن يتوب عن ذنوبه ويؤمن شخصياً بالخالص الذي قدّمه الله له من خلال المخلص المسيح.

وماذا عنك صديقي؟ هل تظن أن تربيتك في عائلة شريفة ومحافظة، أو انتسابك لشعب أو دين معين، سيضمن لك رضى الله عنك وغفرانه لذنوبك؟ إن كلمة الله واضحة جداً في هذا المجال، أن على الإنسان أن يتوب عن خطاياها ويؤمن بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب فداء لكل من يؤمن.